العلاقات بين الرجل والمرأة

منذ العصر الأسطوري ، وآساطير الشرق تُظهر المرأة كمخلوق مقدس .. فالمرأة في الشرق فارسة ، ترمي السهام ، تمتطي صهوة الجياد ، محاربة ، تقف خلف رجلها تُدعمه ، وتعضده .. تضع توقيعها بجوار الخاقان علي الفرامانات ، تنفرد بالحكم ، فتحكم ، وتُسيِّر شئوون الدولة . هي أم حريصة علي أُمومتها ، تحافظ علي عفافها ، وعفتها .. تموت الحرة ولاتفرط في عرضها ، أو تكسب بشدييها . هي زوجة ، صديقة، رفيقة علي درب الحياة .. طوال فترات التاريخ ، وحتي العصور الحديثة ، وثقافات الشرق تُعطي للمرأة حقوقها ، وقيمتها تعترف بحقوقها ، وتعتبرها عنصر فاعل ، ومعطاء للمجتمع . هكذا نراها في التراث العربي ، والتركي ، والفارسي .. المرأة ليست متاع يتوارث ..

فلسفات الشرق (أنثي الطير تبني عشها) وتراثنا وعقيدتنا الإسلامية ، (الجنة تحت أقدام الأمهات) مولانا جلال الدين الرومي يبرز قاعدة إنسانية فريدة حيث يقول (الرجل العاقل ينهزم للمرأة) و (المرأة ليست مخلوقة بل خالقة) أي أنها ليست سالبة ، مستهلكة بل موجبة ، منتجة ..

هكذا ؛ يبدو من تراثنا كله أن المرأة هي العنصر الفاعل في المجتمع ، هي التي تمنح الذرية .. هي التي تصهر عناصر المجتمع ، المثبت ، والمنفي سواء بسواء ، وتُعيدها إلى الأجيال التي تُنشئها .. من هذا المنطلق .. منحها المجتمع الشرقي الإسلامي ماتستحقه من القيمة ، والتقدير .. لم ينظر اليها كمتاع جسدي ، لم يستغلها ، أو يستهلكها .. بل جعلها زهرة معلقه علي الصدور ، ريشة علي الرؤوس .. وأي مجتمع يهمل العنصر النسائي ، ولم يهتم بتعليمه ، أو بصحته ، أو رعايته هو كمن ينتظر الزرع من أرض بوار ، ومَنْ لا يؤمن لها الرعاية الصحية ، ومَنْ لا يُعلمها ، أو يربيها ، هو كمن يقامر علي مستقبل الأُمة ، أو يراهن علي حياة المجتمع ... فالمرأة أُم ، وأُخت ، زوجة ، وإبنه حبيبة .. وصديقة.. ملهمة.. وسكينة ..

* * *

المـرأة كـأم

إن الأُمومة منحة وامتياز وعطاء منحه الله سبحانه وتعالي للمرأة ، وكما أن الجنة تحت أقدام الأُمهات ، فليست هناك حبيبة تضاهي الأُم "في التراث الشعبي " ولا نستطيع أن نحصي الأقوال ، والأمثال والحكايات الجميلة التي تتناول العلاقة بين الأُم وصغيرها ؛ سواء من الناحية المادية أو المعنوية ، ولقد حدث جدل كبير خلال القرن الحالي ، حول إمكانية تعليم وتربية الأمهات في العالم الإسلامي ، ومازال هذا الجدل علي أشده ، هل تتعلم لتخرج للعمل ، أم لتقبع في دارها .. ليس في نطاق هذا الحيز مناقشة مثل هذه الأمور ، فهدفنا هنا رصد الأعراف والعادات التي نود الحفاظ عليها ونقلها من جيل الي جيل ومن عصر إلى عصر آخر .. حرصنا الشديد هو علي تلك الثقافة الجميلة التي تنتقل شفاهة من جيل إلي جيل ، وتتطور مع تطور الزمن مع الحفاظ علي آصالتها وجوهرها .. حرصنا الشديد علي القيم الثقافية الرفيعة ، التي تتحمل الأُمهات أمانه نقلها إلي الأبناء عبر الأجيال .

فالمولود بالنسبة إلي أُمه ، هو كنفسها ، بل ربما تضحي الأم بنفسها ، وبمالها من أجله ، فهو لديها أمانة الوطن والإيمان .. كانت الأم طوال التاريخ حريصة كل الحرص على تنشئة مولود ها (ذكراً كان أو أنثي) بالشكل الذي يجعله مفيداً ، ونافعاً لكل من الوطن ، والعقيدة ، ويمكن الإشارة وتعداد الكثير من الأمثلة لتوضيح ذلك ؛ في التاريخ العربي والإسلامي ، ولهدف ما ، يحكي الشاعر التركي يحي كمال (١٨٨٤ – ١٩٥٨م) أُن أمه كانت تلقنه حب الرسول محمد ﷺ والسلطان وأنها كانت تتمني أن تكون أُم شهيد ، وهذا مطلبها الوحيد في الحياة فذكر السلطان هنا ، بعد النبي ﷺ لإنه هو الدولة ، هو الوطن . وكل الأُمهات طوال تاريخنا وهن يتمنين أن يقدمن الشهداء .. كن يلقن أطفالهن ... إما غازي.. أو شهيد .. فالغزوات في سبيل الدين ، والاستشهاد في سبيل الوطن . كانت الأُمهات ترضعن أطفالهم هذا الرحيق مع طهارة ألبانهن .. وفي وقتنا الحاضر يجب ان نتلقي كل عمل ، أو نشاط يتم في سياق القانون ، وطالما أن الهدف منه هو رقي الدين ، وتطوير الوطن ، والأمه هو في منزلة الغزوات . والقائم به غازي في سبيل الله .

لكي يكون المجتمع صحيحًا ، سليماً ، معافي ، فلابد من الإهتمام عن كسب بوضع الأم . فالجنين يتناول أكسير حياته ، وأوائل تأثيراته من الأُم ، فالمشاعر والأحاسيس التي تعيشها الأم ؛ أشجانها ، وتصرفاتها .. إيمانها ، ومعتقداتها ... تلك هي أول ما نُحيط بالطفل ، وأول ما يستنشقة من رحيق .. ولكي نمنح المجتمع عناصر ، وأفراد أصحاء ؛ يجب ان تكون الامهات من ذوات المفاهيم ، والقيم التي تمكننا من ذلك .. يجب البحث والتحري عن الطرق والوسائل التي تؤمن ذلك .. يجب علي المجتمع إدراك هذه الدرجة الرفيعة ، وهذا السمو الذي منحه الله سبحانه وتعالي لهن ، وأن يكون التفكير حيالهن من هذا المنطلق . يجب أن يترسخ في الأذهان أن التقاليد ، والأعراف العائلية تتجمع كلها في المرأة لكونها أم .. فالأم هي العادات .. هي المراسم والأعراف ،فيها، ولديها تتجمع ، وتتوحد كل هذه المفاهيم.. يجب أن يكون الأمر كذلك :

الأم مدرسة إذا أعددتها

أعددت شعباً طيب الآعراق

* * *

obeikandl.com

الأنثي ؛زوجة، حبيبة.. صديقة..

شاءت سُنة الكون أنَّ لا تكون الأنثي وحدها ، أو الذكر وحده ، بل خلقهما الخالق سبحانه لكي يكمل بعضهما البعض ، وجعل كل منهما محتاج إلي الآخر . . ولو نحينا الأُمومة في العلاقة بين الرجل والمرأة – جانباً ، لوجدنا أن العلاقات الإنسانية التي تتطور فيما بينهما بشكل مختلف عن الأُمومة ، تُشكل صفحات من أنشط صفحات التاريخ ، وأكثرها حيوية وعطاءً . تبرز في المقدمة الصفحات التي تعكس مشاعر الحب والعشق . . فعشق المهنة ، وعشق الوطن وحب الأمة ، وأخيراً ، العشق الإلهي . . إن نقطة الارتكاز ، أو لنقل محور كل هذه المشاعر هو الحب أو العشق المتمحور حول المرأة . . إن التراث والعنعنات الشرقية تجعل من المرأة المحبوبة "رفيق الروح" ولم ننظر إليها كمخلوق لإشباع مجموعة من المشاعر والأحاسيس والغرائز فقط ، فالمرأة المحبوبة المبجلة ، الصديقة ، التي تنال ماتستحق من التقدير ، هي ذلك المخلوق القيمُ الذي يحمي العرين ، ويؤسس الدار ، وأم لكل الصغار. لابد أن هناك أمثلة سالبة في كل مجتمع ، كان ذلك ، وسيكون . والرجل الذي يضرب زوجته ، فإما أنه يعيش في عصر غير طبيعي ، أو أنه شخص معتوه ، يتعارك مع كل مَنْ يصادفه ، من ذلك النوع الذي ينطبق عليه قول "يخانق دبان وجهه" .

حيثما يوجد الإنسان لابد وأن تكون هناك خلافات ، والمهم أن نجعلها في أضيق الحدود . . ولابد أن المرأة ستُبين عن نفسها في العلاقة التي بينها وبين الرجل.

أما تلك المرأة أو الأنثي ؛ التي هي زوجه، في نفس الوقت تكون صديقة ، ومساعدة . . هي النصف الآخر ، الذي يحمل نفس النصيب في شراكة الحياة . هي نصف الدائرة الأُسرية .

وكما أن هناك رجال لاحلم لهم ، فهناك إناث كذلك ، وفلسفتنا الشعبية توصي ، وتصر علي ضرورة أن يصبر الطرف المبتلي علي مَنْ ابتليَ به . . حفاظاً علي عش الزوجية وحماية الصغار ، . . وبالرغم من ذلك . . فتراثنا الإسلامي ، كما أباح الزواج وحض عليه ، فقد أباح الطلاق ، وشرْعه . فمن الجائز ألا تتفق الميول ، ولا تتهادن

الطباع ، ولا تتوائم العادات والتقاليد في هذه الحالة .. ولما تصل قناعة الجميع إلي أستحالة العِشْرة ، فيجب أنهاء الحياة الزوجية بالتفاهم والرضي .. وبشكل لا يفقد فيه الإنسان إنسانيته .

المرأة في الشارع ، في وسائل المواصلات ، وفي الأماكن العامة ايضاً ، هي المرأة ، هي أم ، أو أخت ، أو إبنه ، أو زوجه لفرد من أفراد الأمة ، ولهذا وجب إحترامها ، وتوقيرها .. وكيف نتصرف حيال أُمهاتنا ، وأُخواتنا ، وزوجاتنا ، وبناتنا ، هكذا يجب أن تكون تصرفاتنا حيال أي إمرأة نقابلها في حياتنا اليوميه ..."عاملوا الناس كما تُحبوا ان يعاملوكم وعاملوهن بالمعروف.."..

إن النظر إلي المرأة علي أنها متعة جنسية ، أو جسدية فقط ، والتعامل معها بهذا المنطلق وحده ، في ذلك إهانة لخلق الإنسان ، فالإنسان ولد ومعه مجموعة من المشاعر والخصال ، والرغبات ، والميول ، والتعامل معه من جانب واحد من هذه الجوانب فيه ظلم ، فادح ، وبهتان جسيم .. وإذا ماتم التركيز علي جانب واحد ، وتطويره هو وحده ، في هذه الحالة لايكون هناك إنسان سوي .. أو فرد عادي.

إن المرحلة الراهنة ، قد شهدت فيها مجتماتنا ، أسوة بالمجتمعات الأخرى ، تداخل المرأة فى العديد من مظاهر الحياة ، ومحركاتها .. وأصبحت لديها القدرة ، والمهارة للقيام بالعديد من المهن .. وأستطاعت أن تصل إلى أعلى المستويات فى شتى المهن.. والحال هكذا .. فإن النظر إليها بعين المتعة الجنسية فقط ، يعتبر أمراً غير مرغوب ، وليس من الصواب فى شئ .

إن المرأة ؛ سواء فى حياة الأسرة ، أو فى حياة المجتمع تُعتبر أهم ، وأنشط عضو فى الأسرة ، ومن هذا المنطلق ، فإنها الأجدر بالحب ، والإحترام ، ويكون هذا الحب ، وهذا الإحترام بقدر العطاء الذى تُقدمه للعائلة الكبيرة .. ولو أستطعنا أن نفيها حقها، وبالقدر الذى نوفق فيه فى هذا الصدد ، نكون قد كوَّنا مجتمعًا مدنيًا ، ومتحضراً وسليمًا بالقدر نفسه .

بقدر ما تلتقي دورة طقوس الإنفصال ، والغياب بالموت عند معظم شعوبنا وكياناتنا العربية وما يتبعها من أغاني وتراتيل جنائزية مصاحبة لنوعية الميت وجيله وصيته رجلاً ذكراً كان أو امراة ، أنثي أو عروس بكرية . لم تتزوج . هدفها حماية الأحياء بتسكين روح الميت المتوفي وبعث أكبر قدر من الطمانينة والأمن لكلا . روح . المتوفي وذويه .

كذلك تلتقي الأغاني والأهازيج والموشحات المصاحبة لدورة الحياة وطقوس تجمعها بالزواج والإنجاب داخل رقعة فولكلور شعوبنا العربية بل إننا نتفق مع الباحث الفولكلوري العراقي "لطفي خوري "في أنه لا إختلافات كبيرة في الاسرة العراقية وتقاليدها المتعلقة بالزواج عن بقية الأسر في الأقطار العربية سوي في بعض التفاصيل التي تفرضها البنية السكانية ، وكذا القرابية والبيئية بالإضافة طبعا للقسمات الفئويه الدينية التي تشكل الوطن العربي من مسلمين وأقباط مصر ، ونساطرة العراق ، وموارنة لبنان وعلوي سوريا العليا .

إلا أن القاسم المشترك لها يتمثل في كونها طقوس أنتقال تجمعية من صلوات الشكر في الكنائس . كما يذكر كراب . فطقوس الإنتقال المصاحبة للزواج ، والميلاد لاتخلو علي طول الوطن العربي من جذورها الاولي السحرية والطوطمية والقبائلية.

بدءاً من أستخدامات رش الملح الجماعي ، كممارسات السحر المشاركة ، والتزين ، والزغاريد ، ودق النواقيس ، والأصوات العالية ، والأعيرة النارية التي هدفها طرد الأرواح الشريرة ، وشرور العين وإشاعة الأمن .

ومروراً بزواج الاقارب، أو الزواج الإتصالي الأسري القرابى القبائلي بل إن في تقاليد وإحتفالات الزواج، والإنجاب ، والأغاني ، والأشعار، والمماراسات المصاحبة علي طول الكيانات العربية أرضاً خصبة حقاً بالنسبة لدراسة نسق أو منطلق جوهري أو إستراتيجي لتراثنا العربي بكامله ، زهو النسق القرابي القبائلي الذي يتبدي بكثرة ملحوظة إلي أقصى مدي في تراثنا الفولكولوري العربي بعامة، وبخاصة فيما يصاحب

الزواج ، ومراحل إنتقالاته ، لافرق فيها بين ما يجري في دلتا الرافدين ، ومصر ، وفلسطين أو المشرق العربي ، والسودان ، والخليج .

من ذلك الكثرة الموسمية للزواج ومراسمه التي عادة ما تجيء في نهاية موسم الحصاد ، وجمع الغله لدفع المهر ، أو وحدة مهر العروسة التي كانت في الجاهلية تحدد وحدتها النوق ، أو الجمال وعرف إلي اليوم بزواج المهر تمييزاً عن زواج "السفطة" لشمال العراق ، والفصل في وسطه تم عقد النكاح لحين الحنة ، أو ليلة الحناء ، وما يصاحبها من أغاني الفتيات المراهقات الكاشفة في معظمها عن محرماتهن . وصبواتهن في الحب ، والجنس والزواج .

كما أن في دراسة أغاني ، وممارسات الزواج ، والإنجاب وما يدور في فلكها من شعائر. وخرافات تفصيلية منها ما يتصل بإستخدامات نباتات بل ، وعطور، ووحدات تشكيلية بعينها وما يتصل بافتعال العراك والعنف ، والمشاحنات لحظه خروج العروس بزينتها من بيت أبيها أو في حالة تخطيها للمرة الأولي عتبة بيت . الزوجية الجديد .

وما يتصل بشعائر تقديس عتبات البيوت التي ترجع بذورها في التراث خاصة داخل رقعة التراث الفلسطيني ، والأسطوري والفولكلوري السامي إلي ماقبل الألف الثانية ق.م مثل سكب الماء وأحياناً الملح علي العتبات وكذا التوسع في أستخدامات النباتات الخضراء كالنعناع ، وسعف النخيل توسلاً بسحر الشبية – الذي ينتج الشيبة أو الشبشبة . وكذا شعائر إنتقالات إلى " أو من" حجرات النوم ، أو الداخلة ، ودور الداية أو القابلة بتعريف العروسين ودفع فك الدكة . من نقود للداية أو العروس وأغاني أخذ الوش التي – عادة – ما يجري علي مشهد من الداية بإستخدام الأصابع وعليها . المحرمة. الحريرية البيضاء وإشهارها بالأغاني عبر البلدة أو النجع "قولو لأبوها إن كان جعان يتعشي " .

وكل هذا مادة خصبة للمزيد من تكشيف وضع المرأة وأداءاتها . الأسطورية . الأولي منذ أساطير الخلق الأولي لحواء وخلقها من الضلع السادس للرجل المنحدرة منذ السومريين منذ ٥ آلالف عام وتبدو بكثرة في التراث السامي ، أو الكنعاني ، لحين سفر الخلق أو التكوين الأول والثاني .

* * *